منهج لسان الدين بن الخطيب في التّأريخ للأدب الأندلسيّ

قراءة في نماذج مختارة

The Methodology of Lisān al-Dīn Ibn al-Khaṭīb in Documenting Andalusian Literature: A Study of Selected Models

إعداد

د. بسّام البرقاوي

Dr. Bassam Al-Barqawi

قسم اللّغة العربيّة وآدابها- كلّية الآداب والعلوم الإنسانيّة

جامعة الشّرقيّة - سلطنة عمان

د. يوسف بن سعيد الكاسبي

Dr. Yousef bin Saeed Al Kasbi

قسم الدّراسات الإنسانية - كلّية الآداب والعلوم الإنسانيّة

جامعة الشّرقيّة (سلطنة عمان)

Doi: 10.21608/mdad.2025.407484

استلام البحث ٥/ ١٢/ ٢٠٢٤

قبول النشر ٢٠ / ١٢ / ٢٠٢٤

البرقاوي، بسّام و الكاسبي، يوسف بن سعيد (٢٠٢٥). منهج لسان الدّين بن الخطيب في التّأريخ للأدب الأندلسيّ - قراءة في نماذج مختارة. ***المجلة العربية مـــــداد***، المؤسسة العربية للتربية والعلوم والآداب، مصر، ٩ (٢٨)،١٥٥-١٨٠.

http://mdad.journals.ekb.eg

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

منهج لسان الديّن بن الخطيب في التّأريخ للأدب الأندلسيّ
قراءة في نماذج مختارة

المستخلص:

هدفت هذه الدّراسة إلى تدبّر الطّرائق التي اعتمدها لسان الدّين بن الخطيب في التّأريخ للأدب الأندلسيّ. واعتمدت مدوّنة للبحث "الكتيبة الكامنة" و"الإحاطة في أخبار غرناطة" و" الإكليل الزّاهر في من فضل عند نظم التّاج من الجواهر". وبمقاربة إحصائيّة تحليليّة تدبّرت مراحل تبلور المنهج الذي عوّل عليه هذا الأديب في التّعريف بشعراء الأندلس وحفظ أشعارهم. فكان الاهتمام ببعض المصطلحات التي تبيّن بعض قواعد التّأريخ في هذه المصنّفات. وكان النّظر في تجليّات هذا المنهج إجرائيّا باستدعاء نماذج نصيّة. وخلصت الدّراسة إلى عدد من النّتائج لعلّ أهمّها أنّ لسان الدّين كان يسير على هدي منهج معلوم في التّأريخ للشّعر والشّعراء. فهو قد احتكم إلى مقاييس مختلفة في ترجمة الشّعراء وجعلهم طبقات. وهو قد نوّع في ضروب تصنيفهم تنويعا بلغ نضجه النّقدي في كتابه " الكتيبة الكامنة".

الكلمات المفاتيح: الأدب الأندلسي – ابن الخطيب – تاريخ الأدب – المنهج.

Abstract:

This study aims to explore the approaches adopted by Lisān al-Dīn Ibn al-Khaṭīb in documenting Andalusian literature. It examines his major works, including Al-Kitābah al-Kāminah, Al-Iḥāṭah fī Akhbār Gharnāṭah, and Al-Iklīl al-Zāhir fī Man Faḍla ʿInda Naẓm al-Tāj min al-Jawāhir. Through a statistical and analytical approach, the study investigates the stages of development of the methodology employed by this scholar in identifying Andalusian poets and preserving their poetry. The research focuses on specific terminologies that illustrate the principles of literary historiography within these works. Moreover, it examines practical applications of his methodology by analyzing selected textual examples.

ISSN : *2537-0847* **eISSN :** *2537-0898*

The study concludes with several findings, the most notable being that Lisān al-Dīn followed a well-defined methodology in documenting poetry and poets. He employed various criteria for profiling poets, organizing them into hierarchical categories, and diversifying the ways they were classified. This methodological approach reached its critical maturity in Al-Kitābah al-Kāminah.

Keywords: Andalusian Literature – Ibn al-Khaṭīb – Literary History – Methodology.

. . .

مقدّمة

ليس من العسير على النّاظر في تاريخ الأدب الأندلسيّ أن يدرك ما بذله لسان الدّين بن الخطيب (ت ٧٧٦هـ) من جهود مضنية في التّرجمة للشّعر والشّعراء. فهو قد ألّف في التّراجم الأدبيّة[١] "التّاج المحلّى في مساجلة القدح المعلى" و" الدّرر الفاخرة واللّجج الزّاخرة "و"جيش التّوشيح "و "عائد الصّلة "و "السّحر والشّعر" و" الكتيبة الكامنة". بل تكاد لا تخلو جميع مؤلّفاته التي كتبها في غير غرض الأدب من اهتمام بأعلام الشّعر والنّثر. ففي كتبه التّاريخيّة والجغرافيّة " أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام " و"معيار الاختيار" و"الإحاطة في أخبار غرناطة " واللّمحة البدريّة في الدّولة النّصريّة" و" نفاضة الجراب في علالة الاغتراب" و"كناسة الدّكان بعد انتقال السّكان" للشّعر والشّعراء نصيب غير قليل.

لا عجب والأمر على هذا النحو أن يُعدّ ابن الخطيب أهمّ من أرّخ للأدب الأندلسيّ في القرن الثّامن للهجرة. يقول أنخل بالنثيا " ونذكر ممّن ألّف في تاريخ الأدب في العصر الغرناطي محمّد بن علي بن هاني (المتوفى سنة ٧٣٢هـ/١٣٣٢م) بيد أنّ أهمّ من ألّف في

[١]- نعني بالتّراجم الأدبيّة في هذه الدّراسة الكتب "الّتي تعرض للشّعراء والكتّاب – أو من اشتهر له ذكر فيهما أو في أحدهما- فتترجم لهم أو تتعرّض لبعض أخبارهم ومناقبهم ثمّ تورد نبذا من شعرهم أو نثرهم" ابن الأحمر (إسماعيل بن يوسف النّصري)، **نثير فرائد الجمان في نظم فحول الزّمان**، تحقيق محمّد رضوان الدّاية، لبنان، دار الثّقافة، ط. ٢، ١٩٩٦، ص١٣٩.

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

هذا الباب في ذلك العصر هو لسان الدّين بن الخطيب"[٢]

قد بدا لنا ونحن نتتبّع بعض الدّراسات التي انشغل أصحابها بقضيّة المنهج في مؤلّفات ابن الخطيب أنّ عنايتهم بالكتب التّاريخيّة كانت غالبة على اهتمامهم بالكتب الأدبيّة.[٣] وبدا لنا أيضا أنّ ما ألّف حول مختلف الطّرائق التي بها ترجم ابن الخطيب لأعلام الأدب في عصره وفي غير عصره وفي بيئته وفي غير بيئته يحتاج إلى توثيق وتدقيق.

وقد لا يخفى ما في قولنا هذا من إشارة ضمنيّة إلى أنّنا لسنا أوّل من سيقدّم قراءة في منهج لسان ابن الخطيب مؤرّخا للأدب الأندلسيّ وناقدا له. ونذكر من الدّراسات التي هدفت إلى بعض ما هدفنا إليه مقال محمد سيف الإسلام بوفلاقة " مصادر ابن الخطيب في كتاب " الإحاطة في أخبار غرناطة " وأثرها على منهجه ". ويبدو أنّ أهمّ ما نبّهت إليه هذه الدّراسة أنّ ابن الخطيب " لم يستخدم منهجا واحدا وطبّقه على الجميع، حيث إنّنا نجد تنوّعا في رصده للشّخصيات التي يترجم لها".[٤] وكتب محمد عزلاوي يقول " إنّ المستقرئ لمؤلّفات ابن الخطيب في أدب التّراجم يجد أنّ جميعها يسير في اتّجاهين، ويمثّل شكلين من التّراجم:

- تراجم عامّة: وفيها يترجم الكاتب إلى أعلام وأشخاص لا يجمع بينهم إلاّ كونهم من بلد واحد أو كونهم نالوا من الشّهرة ما جعلهم يستحقّون الإشادة والذّكر. وهؤلاء يلتقي فيهم الملوك مع الوزراء والكتّاب والقادة والعلماء والأدباء، وكلّ شخص قد يطلق عليه صفة عين أو علم (...).
- تراجم خاصّة: وهي ما يعرف بكتب الطّبقات، ويمثّلها طائفة من مؤلّفات ابن

---

[٢]- أنخل بالنثيا، **تاريخ الفكر الأندلسي**، تاريخ الفكر الأندلسيّ، ترجمة حسين مؤنس، القاهرة، مكتبة النّهضة المصريّة، ط.١. ١٩٥٥، ص.٣٠٢.

[٣]- نذكر على سبيل التّمثيل: انتصار عبد السّلام، **المشاهدة والمعاصرة في التّدوين التّاريخيّ عند لسان الدين بن الخطيب (٧١٣ هـ / ١٣١٣م - ٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م)**، مجلّة البحث العلمي في الآداب، م.١٦، ع.٥، سبتمبر ٢٠١٥، ص. ص. ٣١٨- ٣٣٣، محمد عيساوي، **المؤرّخ لسان الدين بن الخطيب: حياته ونهجه في التّدوين التّاريخيّ كتاب " أعمال الأعلام " أنموذجا**، مجلّة التّراث، م.٦، ع.١، مارس ٢٠١٦، ص. ص. ١٥- ٢٣.

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

الخطيب، وهي تعنى بالتّرجمة للأعلام الذين يشتركون في اختصاص واحد، ويشكّلون طبقة واحدة " [٥]

إنّ هذه الملاحظات العامّة حول منهج ابن الخطيب في التّأريخ للشّعر والشّعراء هي التي دفعتنا إلى تعميق النّظر في الطّرائق التي يعتمدها في كتابة التّراجم من خلال مقاربة وصفيّة تحليليّة. واتخذنا عيّنة تتألّف من ثلاثة كتب: و"الإكليل الزّاهر في من فضل عند نظم التّاج من الجواهر".[٦]، و" الإحاطة في أخبار غرناطة". [٧] و " الكتيبة الكامنة".[٨]ويعود اختيارنا إلى هذه المؤلّفات دون غيرها من مصنّفاته لكون كل واحد منها يمثّل، في نظرنا، مرحلة من مراحل تبلور منهجه في التّأريخ للأدب الأندلسيّ. وجعلنا البحث ثلاثة أقسام. يهتمّ أوّلها بالبحث في الطّرائق التي سلكها في كتابة التّراجم. وهي تكوّن مجتمعة ما يمكن أن نصطلح عليه بالمنهج. وينشغل الثّاني بالوقوف على تجليّات ذلك المنهج في التّعريف بالشّعراء وانتقاء نماذج من شعرهم. ويتقصّى الثّالث مصادر التّأريخ ومقاييس اختيار النّصوص الشّعريّة في المدوّنة التي جعلناها عمدة بحثنا.

. . .

المبحث الأوّل: مراحل تبلوّر المنهج

بدا ولنا ونحن نقلّب النّظر في الطّرائق التي سار عليها لسان الدين بن الخطيب في التّأريخ للشّعر والشّعراء في بعض مؤلّفاته أنّ منهجه قد عرف ثلاث مراحل بارزة. كلّ مرحلة مثّلها كتاب من كتب المدوّنة التي اتّخذنها عيّنة للدّراسة. فكتاب" الإكليل الزّاهر فيمن فضل عند نظم التّاج من الجواهر":(كتبه في سنّ الشّباب.ووردت أجزاء منه في

---

[٤]- محمد سيف الإسلام بوفلاقة، **مصادر ابن الخطيب في كتاب "الإحاطة في أخبار غرناطة" وأثرها على منهجه**، حوليات جامعة قالمة للعلوم الاجتماعيّة والإنسانيّة. ع .٢٥، ديسمبر، ٢٠١٨، ص.١٨٥.

[٥]- محمد عزلاوي، **ملامح الأصالة والتّميّز في تراجم لسان الدّين بن الخطيب**، مجلّة الحقوق والعلوم الإنسانيّة، م.٤، ع.٢. ص.٢٧٧.

[٦]- ابن الخطيب، **ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب**، تحقيق محمد عبد الله عنان، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط.١، ١٩٧٠

[٧]- ابن الخطيب، **الإحاطة في أخبار غرناطة**، تحقيق محمد عبد الله عنان، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط.٢، ١٩٧٣.

[٨]- ابن الخطيب، **الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثّامنة، تحقيق إحسان عبّاس**، بيروت، دار الثّقافة، ط.١، ١٩٦٣.

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

كتاب " ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب") يمثّل، في نظرنا، المرحلة الأولى من مراحل البحث عن "منهج نقديّ" يعتمده في التّرجمة للشّعراء والتّعريف بشعرهم. وقد ألّف ابن الخطيب هذا المصنّف في بداية حياته. وممّا قال في فاتحته "ورتّبته طبقتيْن، إحداهما، فيمن أطلعت هذه البلاد من أولى الخصل والأدب المستجاد، والثّانية فيمن قدم عليها إلى هذا العهد من الأعلام، أو ألمّ بها بعض إلمام، من فرسان الأقلام، وأبطال مجال الكلام وإن طعن النّاقد في تأخير من لزم تقديمه (...) فقد يتقدّم الملك حاجبه والمخدوم خديمه".[٩]

واضح من خلال هذا الشّاهد أنّ لسان ابن الخطيب كان منشغلا بتحديد طريقة لتصنيف الشّعراء. فهو يستعمل مصطلح التّرتيب الّذي يدل على أنّ الرّجل كان يشعر بضرورة التّمييز بين الشّعراء وتصنيفهم وفق معيار مخصوص. واستعمل مصطلح "طبقة" الّذي يفيد الضّبط والتّصنيف أيضا لا سيّما وهو من المصطلحات الشّائعة في كتب التّراجم لأنّها تساعد على المفاضلة بين الشّعراء. ولكنّ هذا التّرتيب الّذي اعتمد ثنائيّة "الشّاعر الأصليّ" و "الشّاعر الوافد" هو ترتيب من خارج النّصّ لا يكلّف المؤرّخ عناء كبيرا في التّصنيف ولا يكشف عن مواقف نقديّة تبحث في قيمة النّصوص. وقد يعود هذا الأمر إلى أنّ صاحبه قد ألّفه وهو حديث عهد بالكتابة. فاضطرب منهجه وغاب موقفه النّقديّ في سياق الرّغبة في الإكثار والجمع.

وأمّا المرحلة الثّانية فيمثّلها كتاب "الإحاطة في أخبار غرناطة"[١٠] الذي شرع في تأليفه قبل سنة ٧٦٠ هـ وفرغ منه سنة ٧٦٥هـ وإن كان "يستشفّ من إشارات كثيرة أنّ ابن الخطيب استمرّ في تدوين تراجم الإحاطة، وتنقيحها إلى غاية أوائل سنة ٧٧٢ هـ".[١١] وهو أشهر مصنّفاته التي أرادها أن تكون "موسوعة شاملة لكلّ ما يتعلّق بهذه

---

[٩]- ابن الخطيب، **ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب**، تحقيق محمد عبد الله عنان، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط.١، ١٩٧٠. ج.١، ص.٣٧.

[١٠]- استعمل ابن الخطيب غير تسمية للكتاب. فذكره، إلى جانب العنوان الذي وضعناه له، باسم " الإحاطة في تاريخ غرناطة" و" الإحاطة بما تيسّر من تاريخ غرناطة" و" تاريخ غرناطة "، يوسف طويل، **لسان الدّين بن الخطيب وكتاب الإحاطة**، عصور، ع.٤/ ٥ ديسمبر ٢٠٠٣، جوان ٢٠٠٤، ص.٥٣.

[١١]- محمد سيف الإسلام بوفلاقة، **مصادر ابن الخطيب في كتاب "الإحاطة في أخبار غرناطة " وأثرها على منهجه**، ص. ص. ١٧٢- ١٧٣.

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

المدينـة الأندلسيّة"[١٢] "تاريخيّـا وأدبيّـا وجغرافيّـا وسياسيّا واجتماعيّـا منـذ الفتح الإسـلامي لإيبيرية (إسبانيا والبرتغال حاليا) سنة ٩٢هـ ، حتّى عصر المؤلّف (دولة بني الأحمر).[١٣] يحتوي الكتاب على مقدمّة وقسمين كبيرين.

عرض ابن الخطيب في المقدّمة إلى دواعي التّأليف ومنهج التّصنيف. وكان القسم الأوّل" في حلى المعاهد والأماكن والمنازل والمساكن". بينما كان القسم الثّاني" في حلى الزّائر والقاطن، والمتحرّك والسّاكن". وهو القسم الذي يعنينا في هذا المقام. إذ فيه ترجم لثلاث وتسعين وأربعمائة شخصيّة أندلسيّة. وكان للشّعراء والأدباء نصيب في التّرجمة وافر.

والنّاظر في هذا الكتاب يلاحظ أنّ وعيَ ذي الوزارتين بالمنهج ازداد رسوخا. فهو في "الإكليل" قد احتكم إلى معيار جغرافيّ توزيع الأدباء إلى محليّ ووافد، بينما اعتمد في كتاب " الإحاطة في أخبار غرناطة" طريقة تجمع بين مقياسيْن في التّصنيف" وذكرت الأسماء على الحروف المبوّبة ، وفصّلت أجناسهم بالتّراجم المرتّبة : فذكرت الملوك ، والأمراء ثمّ الأعيان ، والكبراء ثمّ الفضلاء، ثمّ القضاة، ثمّ المقرئين والعلماء ثمّ المحدّثين ، والفقهاء ، وسائر الطلبة النّجباء ثمّ الكتّاب، والشّعراء، ثمّ العمّال والأثراء ، ثمّ الزّهاد ، والصّلحاء، والصّوفيّة والفقراء ليكون الابتداء بالملك والاختتام بالمسك، ولينظم الجميع انتظام السّلك".[١٤]

* **تصنيف أبجديّ**: رتّب ابن الخطيب شعراءه بحسب الحرف الأوّل الّذي يبدأ به اسم كلّ واحد منهم وإن لم يلتزم بهذا التّرتيب في كلّ تراجمه.[١٥] وهذا المقياس في التّصنيف يبدو شكليّا لا يبرز اختلاف الشّعراء في الزّمان أو في القيمة ولا يبيّن اختلاف النّصوص في الأغراض أو في الشّكل. ولكنّه مع ذلك مقياس إجرائيّ مهمّ إذ يمكّن مؤرّخ الأدب من أن يكون محايدا. إلّا أنّ هذا الحياد لم يتحقّق على الوجه الأكمل لتداخله مع بعض المقاييس

[١٢]- ابن الخطيب، **الإحاطة في أخبار غرناطة**، تحقيق محمد عبد الله عنان، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط.٢، ١٩٧٣، ج.١، ص.٣.

[١٣]- محمد سيف الإسلام بوفلاقة، **مصادر ابن الخطيب في كتاب " الإحاطة في أخبار غرناطة " وأثرها على منهجه**، ص. ص. ١٧١- ١٧٢.

[١٤]- ابن الخطيب، **الإحاطة في أخبار غرناطة**، ج.١، ص.٤.

[١٥]- المصدر نفسه، ج.١، ص.٤.

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

الأخرى.

* **تصنيف طبقيّ**: رتّب ابن الخطيب الشّعراء إلى طبقات بحسب وظائفهم. فميّز بين طبقة العمّال والكتّاب والقضاة في الجزأيْن الثّالث والرّابع في كتابه. ويبدو في اعتماده المقياس الثّاني أكثر حرصا على الدقّة والتّبويب والإحاطة. فهو في تصنيف الشّعراء على هذا النّحو كان يعبّر بطريقة غير مباشرة عن مواقف منهم. ولعلّنا لا نجافي الصّواب إذا قلنا إنّه يبدو إلى طبقة الشّعراء والكتّاب أميل منه إلى بقيّة الطّبقات.[١٦] فهو مع الفئة الأولى يتوسّع ويتبسّط. وهو مع الفئة الثانية يقبض ويختصر.

وإجمالا لعلّنا لا نغلو في التّأويل حين نزعم أنّ التّداخل بين مقياسيْ الطّبقة والتّرتيب الأبجديّ يكشف تردّده بين مقياسيْن: أوّلهما "شكليّ" يحرّر المؤرّخ من مساءلته عن تقديم شاعر وتأخير آخر. وثانيهما "فنّي" إلى حدّ يعتمد مقياس الطّبقات. ولكنه هذا مقياس بدا لنا باهتا لتكرّر اسم الطّبقة كلّما انتقلنا من حرف إلى آخر. لذلك سنجده يتحرّر من التّرتيب الأبجدي فيّ "الكتيبة الكامنة" حتّى يؤصّل مفهوم الطّبقة ويذهب به مذهبا بعيدا.

وأمّا المرحلة الثّالثة في تدرّج المنهج فيمثّلها كتاب" الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثّامنة". ورد هذا الكتاب في نفح الطّيب بعنوان " الكتيبة الكامنة في أدباء المائة الثّامنة". وقد ترجم فيه لثلاثة ومائة شاعر.

من الثّابت أنّ تأليف "الكتيبة" قد اقترن بإزماع لسان الدّين بن الخطيب على أداء فريضة الحجّ. فارتأى أن يقدّم هديّة إلى المشرق يعرّف فيها ببعض شعراء الأندلس "صرفت إلى المشرق وجهي، والعشيّة قد ضاقت، والعمرة قد أفاقت، (...) ولمّا وقع العزم (...) جعلت الهديّة، من جنس ما تتشوّق إليه النفوس الغنيّة، وتتّجر في أسواقه الهمم السنيّة، من وضع يستطرف أو اختراع يستشرف".[١٧]

فالكتاب كما ذهب إلى ذلك إحسان عبّاس "تقرير يقدّمه ابن الخطيب إلى المشارقة معرّفا شعراء الأندلس المعاصرين على مثال ما فعل ابن سعيد وابن اليسع وابن دحية. (جمعت في هذا الكتاب جملة وافرة، وكتيبة ظافرة، ممن لقيناه في بلدنا الذي طوينا جديد

[١٦] - المصدر نفسه، ج.٣.، ص.ص.٤١١-٤٥٩.
[١٧] ابن الخطيب، **الكتيبة الكامنة**، ص. ص .٢٧-٢٩.

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

العمر في ظله، وطاردنا قنائص الآمال في حرمه وحله ما بين من تلقينا أفادته، أو أكرمنا وفادته، وبين من علمناه وخرجناه، ورشحناه ودرجناه، ومن اصطفيناه ورعيناه، فما أضعناه) " [١٨]

لذلك يمكن القول إنّ من غايات "الكتيبة الكامنة " الأساسيّة إظهار ما يصطلح عليه "بالشّخصيّة الأندلسيّة"[١٩] وإن لم ينبّه ابن الخطيب إلى ذلك بوضوح على غرار ما فعل ابن بسّام في "الذّخيرة" مثلا لمّا صرّح قائلا "أخذت نفسي بجمع ما وجدت من حسنات دهري، وتتبّع محاسن أهل بلدي وعصري، غيرة لهذا الأفق الغريب أن تعود بدوره أهلّه، وتصبح بحاره ثمادا مضمحلّة".[٢٠]

وتعدّ "الكتيبة الكامنة" في علاقتها بتراجم ابن الخطيب السّابقة زيادة تعريف وإكمال نَقص، وقد صرّح صاحب الكتاب بذلك في قوله "كنت جمعت في الزّمان المنصرم (...) مائة شاعر وعشرة، وسمّيته بالتّاج المحلّى في مساجلة القدح المعلّى، وربّما تخلّل ذلك من تأخّر عن مولدي أجله، ممن أرحله عن الوطن عجله، وبلغني مرواه ومرتجله".[٢١]

يتّضح من هذا الشّاهد أنّ ابن الخطيب ترجم في "الكتيبة" لمن ظلّ مجهولا في مؤلّفاته السّابقة، ولا يعني ذلك أنّ جميع الشّعراء قد ترجم لهم لأوّل مرّة.[٢٢] ولعلّ في عنايته الفائقة "بالمغمورين" الّذين لا نجد لهم ذكرا في كتبه السّابقة جعله يسِم كتابه "بالكتيبة الكامنة"، وتبدو صيغة هذا العنوان مألوفة في الأندلس، فقد ألّف قبله أبو الحسن بن سعيد (ت ٦٨٥هـ) "الغصون اليانعة في شعراء المائة السّابعة"[٢٣] وألّف محمد السّبتي

---

[١٨] المرجع نفسه، ص.١٧.

[١٩]- حول مفهوم الشخصّيّة الأندلسيّة انظر الشّاذلي بويحي: **ابن شهيد الأندلسي حياته شعره، ونثره، رسالة التّوابع والزّوابع**، تونس، مؤسّسات عبد الكريم عبد الله للنّشر والتّوزيع، ١٩٩٣، ص. وما بعدها، أحمد هيكل، **الأدب الأندلسيّ من الفتح إلى سقوط الخلافة** ، مصر ، دار المعارف ، ١٩٨٥.

[٢٠]- ابن بسّام الشنتريني، **الذّخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، تحقيق إحسان عبّاس، ليبيا، تونس: الدّار العربية للكتاب، ١٩٧٥، القسم الأول، المجلّد الأول، ص.١٢.

[٢١]- ابن الخطيب، **الكتيبة الكامنة**، ص.٣٠.

[٢٢]- كرّر لسان الدّين عدّة تراجم، انظر مثلا الصّفحات ٣٢، ٣٤، ٣٨، ٤٥، ٥٥، ٦٧، ٧٠، ٧٢، ٨٨، ٩٠...

[٢٣]- ابن سعيد المغربي الأندلسي (أبو الحسن علي بن موسى)، **الغصون اليانعة في محاسن شعراء المائة السابعة**. تحقيق إبراهيم الأبياري، مصر: دار المعارف، د.ت.

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

(ت٧٣٢هـ) "الغرّة الطّالعة في شعراء المائة السّابعة"[٢٤]. ليؤلّف ابن الخطيب بعد ذلك "الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة".

أمّا الكتيبة فهي "ما جمع فلم ينتشر وقيل هي الجماعة المستجيزة من الخيل أي في حيّز على حدة وقيل الكتيبة جماعة الخيل إذا أغارت من المائة إلى الألف والكتيبة جماعة الخيل إذا أغارت من المائة إلى الألف والكتيبة الجيش"[٢٥]. أمّا الكامنة فمن "كمن كمونا: اختفى وكمن له يكمن استخفى وكمن فلان إذا استخفى شفي مكمن لا يفطن له وأكمن غيره فأخفاه وقال ابن سيّده: الكمين في الحرب الذي يكمنون"[٢٦]. لا يخفى ما ينطوي عليه هذا العنوان من نزعة فخريّة واضحة فشعراء "الكتيبة– في تقدير ابن الخطيب- هم شعراء على "شاعريّة" يعتدّ بها لأنّ من معاني الكتيبة أيضا "القطعة العظيمة".[٢٧] وتبرز هذه النّزعة أيضا –ضمنيّا- في دور ابن الخطيب لأنّه هو الذي سيخرج هؤلاء الشّعراء من طور الكمون إلى طور الظّهور.

صدّر لسان الدّين " الكتيبة الكامنة " بتوطئة امتدح فيها الأدب. وبيّن أسباب التّأليف. ولعلّ أهمّ ما في هذه التّوطئة إنّما يتّصل بالمنهج الّذي صدر عنه في تصنيف تراجمه. وهو منهج يتلخّص في قوله: "وها أنا أنسّقهم على ترتيب مقرّر، وتبويب محرّر وأضيف الرّجل إلى ما غلب عليه من انتحال، وعرف به في كلّ حال وألاحظ أحوالهم بحسب الزّمان والمكان وأقرّب ذلك جهد الإمكان".[٢٨] يبدو ابن الخطيب في هذا القول مؤرّخا يسكنه هاجس البحث عن طرائق في التّصنيف. ولعلّ مصطلحات من قبيل "أنسّقهم" و"ترتيب" و"تبويب"، تدلّ على شعور الرّجل بضرورة المنهج الّذي يقوم على أسس واضحة عمادها التّنسيق والتّرتيب والتّبويب.

وقد لا نعدو الصّواب إذا ذهبنا إلى أنّ هذه المقدّمة قد مثّلت "ميثاقا" التزم به لسان الدّين في مصنّفه التزاما كبيرا. فالنّاظر في "الكتيبة" يلاحظ أنّه تقيّد بالتّبويب والتّنسيق رغم الطّرائق العديدة الّتي وظّفها في التّصنيف كالطّبقة والزّمان والوظيفة. هكذا يتّضح

[٢٤] - ابن الخطيب، **الإحاطة في أخبار غرناطة**، ج.٣، ص.١٤٥.
[٢٥] - ابن منظور، **لسان العرب**، مادّة ك. ت. ب.
[٢٦] المرجع نفسه، مادّة ك. م. ن.
[٢٧] المرجع نفسه، مادّة ك. م. ن.
[٢٨] - ابن الخطيب، **الكتيبة الكامنة**، ص.٣٠.

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

لنا أنّ ابن الخطيب قد تدرّج في مؤلّفاته من مرحلة تحسّس المنهج والشّعور بضرورته، إلى مرحلة الوعي ببعض أسسه ثمّ إلى مرحلة الالتزام به. وقد كان للمنهج الذي تبلوّر في "الكتيبة" تأثير بارز في تحديد طريقة تعامله مع الشّعر والشّعراء.

. . .

المبحث الثّاني تجليّات المنهج في ترجمة الشّعراء

إنّ تأثير المنهج في تعامل ابن الخطيب مع الشّعراء يتّضح من خلال مستويَيْن هما مقاييس التّصنيف وكيفيّة التّرجمة.

١ـ مقاييس التّصنيف: لقد تنوّعت كتب التّراجم الأدبيّة عند القدامى واختلفت أغراضها وتباينت طرائق التّصنيف فيها نظرا إلى اختلاف المقاييس المعتمدة.[٢٩] فهناك مؤلّفات حاول أصحابها التّقيّد بحدود النّصّ. فاتّخذوه معيارا لتصنيف الشّعراء وتجلّى ذلك في اعتماد مقاييس من قبيل الفحولة والطّبقة والمكثر والمقلّ

(الشّعر والشّعراء" لابن قتيبة و"طبقات فحول الشّعراء" لابن سلام الجمحي). وهناك مؤلّفات احتكم أصحابها إلى ما هو "خارج النّصّ" فاتّخذوا من البيئة والزّمان والوظيفة مقاييس لتصنيف المترجم لهم. ففصّلوا بين المحلّي والوافد والصّوفي والقاضي والكاتب ("المغرب في حلى المغرب" لابن سعيد و "الحلّة السّيراء" لابن الأبّار...).

ولمّا كان النّصّ وحده لا يفي المؤرّخ الأدبيّ أحيانا بمقاييس تمكّنه من الشّمول والإحاطة، ولمّا كانت البيئة والعصر لا تمكّن المؤرّخ أيضا من مقاييس تسمح له بالتّعبير عن موقفه فإنّ ضربا ثالثا من التّراجم الأدبيّة سعى فيها أصحابها إلى الجمع بين الدقّة والشّمول، فكان أن تجاوزوا هذا الفصل الإجرائيّ بين النّصّ وعصره أو بين القصيدة وقائلها. وحاولوا الجمع بين ما يتّصل بالمترجم له في حياته وما يتّصل بإنتاجه الأدبيّ. وعلى هذا النّهج سار لسان الدّين بن الخطيب في مؤلّفه "الكتيبة الكامنة"، لأنّ الناظر في الكتاب يلاحظ أنّ تصنيف الشّعراء فيه قام على مراعاة ثلاثة مقاييس اثنين منهما يتصلان بالشّاعر والثّالث يتعلّق بالنّصّ.

* **المقياس الأولّ**: تجلّى في تصنيف الشّعراء بحسب اختلاف وظائفهم إلى أربع طبقات،

[٢٩] - ابن الأحمر، **نثير فرائد الجمان في نظم فحول الزّمان**، ص، ص. ١٤١،١٤٤.١٤١.

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

الأولى سمّاها ابن الخطيب طبقة الخطباء الفصحاء والصّوفيّة الصلحاء، والثّانية طبقة خصّصها للمقرئين والمدرّسين، والثّالثة جمع فيها القضاة، جعلها للكتّاب. وقد لا يخفى على النّاظر في هذا التّصنيف أنّه حاول أن يضع حدودا مميّزة بين الشّعراء تؤكّد أمريْن: أوّلهما أنّ في اختلاف الوظائف ما يوحي باختلاف النّصوص والأغراض. وثانيهما يشير إلى أنّ الشّعر في عصره لم يعد "وظيفة" ما دام الشّاعر أصبح صاحب وظيفة. وبعبارة أخرى كأنّ الشّعر قد أصبح نشاطا ثانويّا يأتيه المتصوّف والخطيب والمدرّس والمقرئ... ولكنّ هذا التّصنيف يبدو في وجه من وجوهه مفتعلا. فإذا كان لا اختلاف في أنّ التّدريس والقضاء والكتابة وظائف مختلفة، فإنّ التّصوّف لا يمكن أن يعدّ وظيفة. ولعلّ تخصيص طبقة للمتصوّفة هو ما يقدح في منهجه، إذ من الممكن تفسير هذا الأمر بدوافع ذاتيّة خاصّة ونحن نعلم أنّه عاش في آخر حياته تجربة روحيّة زهديّة.

* **المقياس الثّاني**: هو مقياس زمني لأنّ الشّعراء المترجم لهم في الطبقات الثّلاث وبعض من الطّبقة الرّابعة هم في عداد الأموات زمن كتابة النّصّ، بينما كان بقيّة الشّعراء أحياء يرزقون. وقد نصّص على ذلك صراحة في نهاية ترجمة ابن حسّان الغافقي فقال: "وكلّ من ذكر إلى هذا الحدّ من المشايخ أو الأتراب، قد تسابقوا تسابق العراب إلى التّراب، فيا ويح من اغترّ بلمح السّراب، وبنى للخراب، ومن يجري ذكره بعد هذا فهم بقيد الحياة، لتمام جمادى الآخرة عام أربعة وسبعين وسبعمائة"[٣٠]. يدلّ هذا الشّاهد على التزام ابن الخطيب الّذي سطّره في المقدّمة. فهو قد أخذ بعين الاعتبار "أحوالهم بحسب الزّمان."[٣١] ولكنّ المتمعّن في القسم الّذي خصّصه للأموات يدرك أنّ لسان الدّين بن الخطيب لم يحترم التّقسيم الزّمنيَّ في ثلاثة تراجم على الأقلّ وهي:

أولا: في ترجمة ابن لبّ التّغلبي إذ ذكر في مستهلّها: "وهو لهذا العهد بقيد الحياة".[٣٢]

ثانيا: في ترجمة ابن هاني القاضي "وهو لهذا العهد بالبلاد قد ارتبط واغتبط، وفي غير الفنون النّافعة ما خبط، وبلغت عنه وفاة كاذبة اقتسم لها ميراثه".[٣٣]

---

[٣٠]- ابن الخطيب، **الكتيبة الكامنة**، ص٢٤٩.
[٣١] المصدر نفسه، ص٣٠.
[٣٢]المصدر نفسه، ص٦٨.
[٣٣]- المصدر نفسه، ص.١١٣.

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

ثالثا: في ترجمة القاضي النّباهي الّتي ذكرت في قسم الأموات. بينما تأخّر تاريخ وفاته عن تاريخ وفاة ابن الخطيب نفسه.[٣٤] ولمّا كان هؤلاء الأعلام من الطّبقات التي شملها قسم الأموات. فقد وجد لسان الدّين نفسه مجبرا على الإخلال بالمقياس الزّمني حتّى يحافظ على معيار الطّبقات الّذي يعتبر المقياس الأهمّ في التّصنيف.

* **المقياس الثّالث**: يتّضح في تعليقات ابن الخطيب على الطّبقات الّتي صنّف بحسبها شعراء عصره. فهو لم يكتف بالتّصنيف المحايد. بل أبدى موقفه من كلّ طبقة. ففاضل بين الطّبقة الرّابعة وبقيّة الطّبقات. وحكم بالجودة لطبقة من خدم أبواب الأمراء من الكتّاب والشّعراء فيه "متميّزة الاستحسان تميّز البركة بمطر النّسيان ومظنّة لدرر بحر اللّسان".[٣٥] بل هي "مظنّة الإجادة في هذا الكتاب".[٣٦] وقد انعكس هذا الموقف على عدد أعلام الطّبقات. فعدد شعراء الطّبقات الثّلاث الأولى مجتمعة أقل من عدد الشّعراء الطّبقة الرّابعة منفردة. ولا ريب في أنّ هذا الموقف الّذي صدر عنه يدعو إلى التّساؤل – خاصّة وهو من رجالات السّياسة- فهل فضّل شعر الكتّاب ومن خدم أبواب الأمراء بالاحتكام إلى مقاييس فنيّة تدلّ على جودة إنتاجهم أم أنّه ميّزهم لمنزلتهم السّياسيّة؟

إلى جانب ذلك فقد فاضل ابن الخطيب بين الطّبقات الثّلاث الأولى، فجعلهم درجات أدناها طبقة المدرّسين فالمتصوّفة فالقضاة. وعلّل ذلك التّمايز بينها. فلئن كان شعراء الطّبقة الأولى "ليسوا بحجّة في إجادة"[٣٧] فإنّ طبقة المقرئين والمدرّسين "أولى من قبلها بدرجة الانحطاط وغصّ عنان الاشتطاط إذ لا خفاء عند المتمرّس بفضل الخطيب في باب الفصاحة على المدرّس".[٣٨]

إنّ هذا التّوزيع الّذي صنّف بمقتضاه صاحب" الكتيبة" الشّعراء إلى أربع طبقات مفاضلا بينها، يجعل منه مؤرّخا وناقدا في الآن نفسه لأنّه تجاوز المعايير الشّكليّة كالإقليم والزّمان والمحلّيّ والوافد والأبجديّ. ولأنّ معيار الطّبقة وهو من المعايير الدّقيقة المستعملة في كتب التّراجم من حقّنا أن نتساءل: هل نقف في "الكتيبة" على تمييز حقيقيّ

[٣٤]- المصدر نفسه، ص.١٤٦.
[٣٥]- المصدر نفسه، ص.١٥٧.
[٣٦]- المصدر نفسه، ص.٣١.
[٣٧]- المصدر نفسه، ص.٣١.
[٣٨]- المصدر نفسه، ص.٧٠.

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

بين الطّبقات وبالتّالي على تفاضل بين الشّعراء ممّا يجعل من لسان الدّين بن الخطيب ناقدا متبصّرا يسعى إلى إقامة الحدود البيّنة بين النّصوص؟ أم أنّ إجراءه لهذا المفهوم كان لغاية تنظيميّة لا غير عندئذ يصبح استغلاله للطّبقة استغلالا إجرائيّا شكليّا؟

٢- **طريقة التّرجمة**: سلك ابن الخطيب في التّرجمة لشعرائه مسلكا ساهم في تحقيق مقصده الّذي صرّح به في مقدّمة الكتيبة "والمقصود إنّما هو إلمام بتعريف وجلب أدب ظريف"[٣٩] إذْ توخّى الإيجاز والاختصار، إلّا أنّه حاول في الوقت نفسه تقديم معلومات مختلفة عن المترجم له ترجمة تقوم على ركنين متكاملين. أمّا الرّكن الأوّل فتوثيقيّ ويكون بـ :

* التّعريف باسم الشّاعر.

* التّنصيص على وفاته أو حياته بعبارة لا بتاريخ. (- الشّيخ المقرئ أبو عبد الله محمّد بن محمّد بن إدريس القلطوسي من أسطبونة رحمه الله تعالى.[٤٠]- الشّيخ الخطيب القاضي الرّئيس أبو القاسم محمّد بن يحيى بن محمّد الغسّاني البرجي امتع الله ببقائه.)[٤١]

* مدح أخلاقه: من ذلك قوله في ترجمة ابن جزي "هضبة وقار، تنظر إلى رضوى بعين احتقار، اقتدى بما له من كرم الأبوّة، وليس وقار الشّيخ في سنّ الفتوّة"[٤٢] وتبدو هذه الخطوات في التّعريف متّصلة بالمترجم له "شخصا" أكثر من اتّصالها به رجل أدب.

أمّا الرّكن الثّاني فنقديّ ويكون بـ:

* ذكر اسم الطّبقة وتقويم شعرها. من ذلك قوله عن طبقة من خدم أبواب الأمراء من الكتّاب والشّعراء: و "ربّما كانت هذه الطّبقة متميّزة الاستحسان، تميّز البركة بمطر النّسيان، ومظنّة لدرر بحر اللّسان، الممنون بها على عالم الإنسان".[٤٣]

* تجذير الشّاعر داخل الطّبقة وإبراز صلته بالأدب من ذلك قوله بعد امتداح أخلاق

---

[٣٩] - المصدر نفسه، ص.١٣٣.
[٤٠]- المصدر نفسه، ص.٧٢.
[٤١] - المصدر نفسه، ص.٢٥٠.
[٤٢]- المصدر نفسه، ص.١٣.
[٤٣]- المصدر نفسه، ص.١٥٨.

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

ابن جزي منوّها به و"أدبه أدب ساطع حسن المقاطع".[٤٤]

* اختيار مقطوعات من إنتاجه والتّعليق عليها كقوله في ترجمة ابن سماك العاملي "فمن شعره يمدح السّلطان ويذكر الواقعة البحريّة بالرّوم [الكامل]:

فَتْحُ قضَاهُ لِمُلكِكَ الرَّحْمَانُ لم تَأْتِ قطُّ بمثْلِهِ الأزْمَانُ[٤٥]

يمكن القول إنّ تعامل ابن الخطيب مع الشّعراء كشف عن أمريْن مهمّيْن: تمثّل أوّلهما في الجمع بين مقاييس عديدة في التّصنيف وهو ما يجعل المداخل إلى دراسة "الكتيبة الكامنة" عديدة وإن كان المدخل التّاريخيّ والنّقديّ أكثرها جدوى.[٤٦] ويتلخّص ثانيهما في تقديم صورة واضحة عن كلّ شاعر كما تبيّن ذلك من خلال عرض كيفيّة التّرجمة. وهذه الصّورة وإن غلب عليها المدح والإطراء، فإنّها لا تخلو إذا أمعنا النّظر فيها من الكشف عن عدة مظاهر. ويهمّنا منها في هذا السيّاق مظهران اثنان: المصدر الّذي أخذ منه النّصّ ودواعي اختياره.

. . .

المبحث الثّالث: مصادر التّأريخ ومقاييس اختيار النّصوص الشّعريّة

نهتمّ في القسم الأخير من دراستنا بتتبّع المصادر التي استقى منها لسان الدّين بن الخطيب تراجمه الأدبيّة. ونقف على مقاييسه في انتقاء نصوصه الشّعريّة. وهذا المبحث، في ما نقدّر، يقودنا إلى تبيّن دوره في حفظ التّراث الشّعري الأندلسيّ من جهة ويكشف صورة ابن الخطيب ناقدا للأدب الأندلسيّ من جهة ثانية.

١- المصادر: تكشف مؤلّفات لسان الدّين بن الخطيب تفاوتا في التّعويل على المصادر. فهي تكثر في بعض مصنّفاته وخاصّة التّاريخيّة منها لتتضاءل في مؤلّفاته التي خصّصها لتاريخ الأدب. ويمكن أن نمثّل لذلك بعقد مقارنة بين مصادر "الكتيبة الكامنة" ومصادر "الإحاطة في أخبار غرناطة".

[٤٤]- المصدر نفسه، ص.١٣٨.
[٤٥]- المصدر نفسه، ص.١٣٨.
[٤٦]- المصدر نفسه، ص.١٩٨.

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

لقد نهل لسان الدّين في الإحاطة من مظانّ عدّة منها "القدح المعلّى في التّاريخ المحلّي" "والطّالع السّعيد في تاريخ بني سعيد" لأبي الحسن علي بن سعيد الأندلسي و"الحلّة السّيراء" لابن الأبّار (ت٦٥٩...) و"الصّلة" لابن بشكوال (ت٥٧٨هـ) و"صلة الصّلة" لابن الزّبير (ت ٧٠٨هـ).. بينما اقتصر في "الكتيبة الكامنة" على مصادر محدودة في تراجم محسوبة العدد. ومردّ هذا التّفاوت، في نظرنا، إنّما يعود في نظرنا إلى اختلاف الفترة الزّمنيّة المحدّدة للترجمة في كلا الأثريْن. فلئن كانت غايته في "الإحاطة" التّرجمة لأغلب أعلام غرناطة الأصليين منهم والوافدين منذ نشوء المدينة- وهذا الأمر يتطلّب بالضّرورة استقصاء وإحاطة لا تنهض بهما سوى كثرة المصادر- فإنّ غايته في "الكتيبة الكامنة" مخصوصة نصّص عليها في العنوان وفي مقدّمة الكتاب "فجمعت في هذا الكتاب جملة وافرة، وكتيبة ظافرة، ممّا لقيناه ببلدنا الذي طوينا جديد العمر في ظلّه، وطاردنا قنائص الآمال في حرمه وحلّه، ما بين من تلقينا إفادته، وأكرمنا وفادته وبين من علّمناه وخرجنا ورشّحناه ودرجّناه ومن اصطفيناه ورعيناه فما أضعناه بعد أن وصفنا كلّ واحد منهم وحلّيناه[٤٧] "فالمعاصرة" إذن جعلت مصادر "الكتيبة" محدودة باهتة وإن لم تعدمها. ويمكن تصنيف هذه المصادر إلى ضربيّن خطيّة شفاهيّة.

١- **المصادر الخطيّة:** ويمكن أن نميّز في هذا الصّنف الأنواع التّالية:

* مؤلّفات لسان الدين السّابقة: إنّ الدّارس لمؤلّفات لسان الدّين بن الخطيب يلمس ظاهرة بارزة تتمثّل في اعتماده النّقل في بعض مؤلّفاته من البعض الآخر. فهو في "الإحاطة" مثلا ينقل نبذا عديدة من تراجم "التّاج المحلّى"[٤٨] و"عائد الصّلة"[٤٩] و"الإكليل الزّاهر".[٥٠] بل وجدناه في مصنّفه الضّخم "ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب" ينقل كتبا ورسائل بتمامها. إذ لولا الكتاب الأخير هذا لضاعت بعض المؤلفات مثل "معيار الاختيار" و"مفاخرات مالقة وسلا" و"مقامة السّياسة. وقد نقل لسان الدّين بعض تراجمه في " الكتيبة الكامنة من مصنّفين اثنين هما:

---

[٤٧]- ابن الخطيب، **الكتيبة الكامنة**، ص.٢٩.

[٤٨]- ابن الخطيب، **الإحاطة في أخبار غرناطة**، ج.٢، الصفحات ٢٤١-٢٥٠-٢٥٧-٢٦٦-٢٧٠..، ج٣، ص. ص ٩٨-٩٩-١٠٣.

[٤٩]- المصدر نفسه، ج.٢، ص.ص١٣٩-١٧٠-٢٦٦، ج.٣، الصّفحات٣٣-٣٥-٦٠..

[٥٠]- المصدر نفسه، ج.٢، ص. ص .٣٣٠-٣٤١-٣٦٠. ج. ٣ الصّفحات، ص١١-١٤٣-١٧٢...

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

* التّاج المحلّى في مساجلة القدح المعلّى: عاد إليه ابن الخطيب في أربع تراجم(- ترجمة ابن الزيّات: فهو بعد أن عرّف به وأورد أشعاره، علّق في خاتمة التّرجمة قائلا: "وثبت له في كتاب التّاج المحلّى نثر أشفّ من نظمه".[٥١] - ترجمة ابن أبي العافية: استهلّها بـ "الشّيخ الكاتب أو القاسم بن أحمد بن أبي العافية من التّاج".[٥٢]- ترجمة أستاذة ابن الجيّاب: استهلّها على نمط التّرجمة السّابقة "شيخنا الرّئيس أبو الحسن علي بن محمّد بن علي بن سليمان بن الجياب الأنصاري رحمه الله تعالى وهو مذكور في كتاب التّاج".[٥٣]- ترجمة ابن إبراهيم النّميريّ: وهي بدورها لا تخرج عن نمط التّرجمتيْن السابقتيْن إذ افتتحها بـ "الشّيخ الرّئيس أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله ابن إبراهيم النّميري من التّاج").[٥٤]

* **الإكليل الزّاهر في من فضل عند نظم التّاج من الجواهر:** اعتمده لسان الدّين بن الخطيب في ترجمة: (- ابن عتيق الشّاطبي إذ افتتحها قائلا: "الشّيخ القاضي المسنّ أبو جعفر أحمد بن عتيق الشّاطبي من الإكليل".[٥٥]- ابن الحكيم: فقد أحال فيها على هذا الكتاب.[٥٦]- ترجمة ابن تدرارت التّنملي، قال لسان الدّين ذاكرا اسمه "الرئيس الكاتب أبو علي حسين بن عبد الحكيم بن حسين بن تدرارت التّنملي المحسوب من الأندلس لولادته وإن كان أبوه من قسنطينة رحمه الله وهو من شعراء الإكليل.[٥٧] - في ترجمة ابن زكريا

[٥١]- المصدر نفسه، ص.١٨٣.
[٥٢]- ابن الخطيب، **الكتيبة الكامنة**، ص.٣٧.
[٥٣]-المصدر نفسه، ص.١٧٧.
[٥٤]- المصدر نفسه، ص.٢٦٠.
[٥٥]- المصدر نفسه، ص.١٠٥.
[٥٦] - المصدر نفسه، ص.١٩٦.
[٥٧]- المصدر نفسه، ص.٢٠٧.

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

الأنصاريّ.)[٥٨] ويبدو اعتماد كتابي "التّاج" و"الإكليل" اعتمادا طبيعيّا، فهما من كتب التّراجم الّتي اشتركت في أسلوب السّجع.

* **مؤلّفات أخرى**: إلى جانب مؤلّفاته اعتمد لسان الدّين بن الخطيب مظانّ أخرى وهي:

- "الفوائد المنتخبة والموارد المستعذبة " لابن الحكيم اللّخمي: ورد ذكره في ترجمتيْن اثنتيْن: في ذكر ابن أحمد القرشيّ وذلك في قوله مشيرا إلى شعره "وله شعر قليل يجلب مثله للبركة من بين الأقوال المتركة. فمن ذلك ما كتبه بظهر الكتاب المسمّى بالفوائد المنتخبة والموارد المستعذبة من تأليف شيخنا أبي بكر بن ذي الوزارتيْن أبي عبد الله بن الحكيم...".[٥٩]، وفي تقويم مكانة ابن منظور القيسيّ الأدبيّة. إذ أشار إلى أنّه "لا يتّصف بنثر ولا نظم ولا يغتبط من ذلك بلحم ولا بعظم عدا ما وقفت عليه بخطّه في ظهر كتاب ألّفه شيخنا الوزير أبو بكر ابن الحكيم وسمّاه الفوائد المنتخبة والموارد المستعذبة فاستحق الذّكر في هذه الطّبقة لذلك والسّير في هذه المسالك".[٦٠]

- "السّليمانيّات والعربيّات" لابن هذيل: ذكره لسان الدّين بن الخطيب في معرض ترجمته لابن هذيل قبل أن يعرض لنماذج من شعره "وكان يشعر وينثر، ويعثر من المعاني ما لا يمرّ به غيره ولا يعثر، وقدر هذا الشيخ أقلّ من أن تستوعب هذه الأسطر، أو يفي به خاطر يخطر، فسبحان الّذي حجب الفضائل بالتّراب،

[٥٨]- المصدر نفسه، ص.٢٧٦.
[٥٩]- المصدر نفسه، ص. ص. ٥١،٥٢.
[٦٠]- المصدر نفسه، ص.١٦٥.

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

وشبّه هذا المتاع الفانيَ بلمع السّراب، لا إلـه إلاّ هو، من مجموع سمّاه السّليمانيّات والعربيّات".[٦١]

- خمائل الكمام في شمائل الكرام: ذكره قبل إيراد نماذج من شعر ابن الفخّار في قول لسان الدّين "وله شعر نبيه، وبستانه في الفضل والظّرف شبيه، فمن ذلك قوله من كتاب سمّاه خمائل الكمام في شمائل الكرام".[٦٢]

* **الرّسائل**: تبادلها لسان الدّين بالخطيب مع أصدقائه الكتّاب والشّعراء. ويعدّ هذا المصدر من أهمّ المصادر وفرة في الكتيبة. فنجد عبارات من قبيل "كتب إليّ"،[٦٣] و "من شعره ما كتب لي به"،[٦٤] و "من شعره ما خاطبني به"،[٦٥] و"خاطبته فأجابني"،[٦٦] و"راجعني عن ذلك بما نصّه".[٦٧] وتبدو الرّسائل ملاءمة للعنوان "في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثّامنة". فهي تشير إلى على صلة ابن الخطيب بأدباء عصره.

* **المخطوطات**: وهي الكتب الخطيّة الّتي نقل عنها لسان الدّين ويعدّ هذا النّوع من المصادر ضئيلًا جدّا إذا اعتمده في ثلاث تراجم وهي:

أولا: ترجمة ابن خالد القتوري أبو جعفر في قوله: "ومن شعره يخاطب بعض رجال الدّولة ومن خطّه نقلته"[٦٨].

ثانيا: في ترجمة أثير الدّين "ومن شعره قال رحمه الله حسبما نقل عن خطّه".[٦٩]

---

[٦١]- المصدر نفسه، ص.١٦٦.
[٦٢]- المصدر نفسه، ص.١٦٧.
[٦٣]- المصدر نفسه، الصّفحات ١٩٩-٢٠٠-٢٠١-٢٤٤-٣٠٧.
[٦٤]- المصدر نفسه، ص.ص٢٣٠.-٢٨٩.
[٦٥]- المصدر نفسه، الصّفحات ٢٣٢-٢٤٦-٢٤٧-٢٥١-٢٨٤-٢٨٦-٢٩٣-٣٠٦.
[٦٦]- المصدر نفسه، الصفحات ١٢٠-١٤٢-١٤٤.
[٦٧]- المصدر نفسه، ص.٢٥٦.

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

ثالثا: في ترجمة ابن الحكيم "وله شعر دون مقداره، وما يليق بهالة إبداره، وإن كان له غصن تحت حكم اقتداره، فمن ذلك ونقلته بخطّه".[٧٠]

٢- المصادر الشّفاهيّة: ونعني بها النّصوص التي سمعها لسان الدّين بن الخطيب مباشرة من الشّعراء. ويعدّ وجود مثل هذا المصدر وجودًا طبيعيّا في بحث يتناول "المعاصرين" لذلك وجدنا إحالات على المجالس، من ذلك قوله ترجمة ابن هذيل "وتذاكرنا يوما أساليب الشّعراء وأفضنا في ذكر ابن هانئ فنظم لي في طريقته هذه الأبيات....".[٧١]

وتكثّفت القرائن الشّفاهيّة، وكانت على ضربيْن:

- مباشرة: من قبيل "أنشدني"[٧٢]، و "ممّا أنشدنه"،[٧٣] و"أنشد بمحضري"،[٧٤] و"أنشدنا إيّاها".[٧٥]

- غير مباشرة: وقد وردت في ترجمة يتيمة لمّا عرض لذكر ابن أرقم فقال: "حدّثني الشّيخ الكاتب أبو بكر بن شبرين شيخنا رحمه الله وقد جرى ذكره قال".[٧٦]

والذي نخرج به من كلّ ما تقدّم أنّ ابن الخطيب وإن اعتمد بعض المصادر المكتوبة، فإنّ ذلك كان ضامرا مقارنة بالتّراجم التي يصمت فيها عن ذكر أيّ مصدر أو

---

[٦٨]- المصدر نفسه، ص.٥٠.
[٦٩] - المصدر نفسه، ص.٨٢.
[٧٠]- المصدر نفسه، ص.١٩٥.
[٧١]- المصدر نفسه، ص.٧٩.
[٧٢]- المصدر نفسه، ص. ص .٩١-١٤٥.
[٧٣]- المصدر نفسه، الصّفحات: ٩٥-١١٩-١٥٠-٢٧٥.
[٧٤] - المصدر نفسه، ص. ص ١٥١-٢٥٢.
[٧٥]- المصدر نفسه، ص.١٦٧.
[٧٦]- المصدر نفسه، ص.١٦٣.

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

يعوّل فيها على المصادر الشّفاهية. وإذا بحثنا عن أسباب هذه الظاهرة وجدناها تعود أساسا إلى اختيار منهجيّ عماده العدول عن المشهور.

ب- **العدول عن المشهور**: إنّ إنعام النّظر في بعض أقوال لسان الدّين الخطيب ينتهي بنا إلى أنّه مؤرّخ يجنح إلى تثبيت النّصوص المجهولة إذا ما تعلّق الأمر بالشّعراء المشهورين. وقد عبّر عن ذلك صراحة في مؤلّفاته. ففي "الكتيبة الكامنة" مثلا ترجم لابن الجيّاب قائلا: "والحقّ أن نعدل عن سلاطنيّاته لاشتهارها ونجلب شيئا من إخوانيّاته لإيناع أزهارها".[٧٧] وقال في ترجمة ابن رضوان النّجاري "ونجلب من فنون آدابه ما تحسده أزهار الأفنان ويجعل خواتم في البنان ولنتخطّ المطوّلات الشّهيرة الشّائعة شياع الشّمس وقت الظّهيرة".[٧٨]

لا يخفى ما في هذيْن الشّاهديْن من اعتراف بالعدول عن المتعارف المغمور لإثبات ما خفي من تحقيق على النّاس وبعد غوره عنهم. ويتأكّد موقف الباحث عن نادر الأدب من خلال شاهديْن. ورد أوّلهما في "الإحاطة" وثبت وثانيهما في مقدّمة "جيش التّوشيح". ذكر في ترجمة الفتح بن خاقان "ونثره شهير، وثبت له من غير المتعارف من السّلطانيات ظهير، كتبه عن بعض الأمراء لصاحب الشّرطة ".[٧٩]

ولعلّ ظاهرة العدول عن المشهور إنّما تبرز بوضوح في مصنّف "جيش التّوشيح" إذ اتّخذ من هذه المسألة أساسا أقام عليه مصنّفه. فهو وإن أرّخ فيه لأعلام التّوشيح فإنّه في اختيار موشّحاتهم عمد إلى المغمور منها على نحو ما يتّضح في قوله: "رتّبت هذا الكتاب ترتيبا لا يخفى أحكامه، وبوّبته تبويبا يسهل فيه مرامه، كلّما ذكرت حرفا قدّمت

[٧٧] - المصدر نفسه، ص.١٨٤.
[٧٨]- المصدر نفسه، ص.٢٥٥.
[٧٩]- ابن الخطيب، **الإحاطة في أخبار غرناطة**، ج.٤، ص.٢٤١.

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

أرباب الإكثار، وأولى الإشهار من بعد الاختبار، والبراءة من عهدة النّسبة اتّهاما للأخبار ثمّ أتيت بالمجهول منها على الآثار".[٨٠]

والذي يهمّنا في هذا الشّاهد قوله "أتيت بالمجهول منها على الآثار" لأنّها عبارة تدلّ على التزامه بالعدول عن الشّائع بحثا عن الإضافة والتّفرّد. لذلك لا غرو إن توصّل محقّق الكتاب إلى أنّ "جيش التّوشيح" ضمّ "موشّحات لستّة عشر وشّاحا في عصر المرابطين والموحّدين وهو عصر ازدهار الموشّح، منهم عشرة وشّاحين ضاعت جميع موشّحاتهم ولم يبق من تواشيحهم غير ما ضمّنه هذا الكتاب".[٨١]

وقد تنبّه هلال ناجي إلى دور ابن الخطيب في حفظ موشّحات ابن بقي (ت ٥٤٥هـ) والأعمى التّطيلي (ت ٥٠٢هـ) ، خاصّة وهو قد أورد للأوّل "تسع موشّحات منها واحدة فقط معروفة والثّمانية الأخر لا وجود لها في أيّ مرجع آخر ومثل هذا يقال على موشّحات الأعمى التّطيلي فقد اختار له (١٩) موشّحة (عشرة) منها لا وجود لها في أيّ مرجع آخر".[٨٢]

هكذا يتّضح أنّ مسألة العدول عن المشهور ليست موقفا يصدر عنه ابن الخطيب في بعض كتب التّراجم. بل بدت منهجا احتكم إليه في عدد غير قليل من كتبه ولئن عبّر فيما تقدّم من شواهدَ عن موقفه بصراحة فإنّ بعض السّياقات تدلّ على أنّ الرّجل يسعى إلى نفض الغبار عن المجهول. ولعلّ في عنوان "الكتيبة الكامنة" مثلا ما يوحي بذلك، فلسان الدّين قد أخرج شعراء "الكتيبة" من طور الكمون والخفاء إلى طور الظّهور والبروز. علاوة على ذلك فإنّ، تواتر مصادر ابن الخطيب الشّفاهيّة من ناحية وضمور

[٨٠]- ابن الخطيب، **جيش التّوشيح**، تحقيق هلال ناجي، تونس، مطبعة المنار،١٩٦٧، ص.٤٣.
[٨١]- المصدر نفسه، ص. ص. ٢٧- ٢٨.
[٨٢]- المصدر نفسه، ص. ص.٢٩- ٣٠.

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

مختارات تتعلّق بوصف الطّبيعة – وهو من الأغراض السّائدة في شعر الأندلس- من ناحية إنّما يعود – في تقديرنا- إلى اختيار فنيّ بالأساس. فمهما كانت الأسباب الدّافعة على هذا الاختيار كالرّغبة في الإضافة أو التّميّز مثلا أو كانت ناتجة عن تذوّق شخصيّ، فإنّ العدول عن المشهور يساهم في حفظ تراث أندلسيّ ما كان يحفظ لولا ابن الخطيب.

خاتمة

بناء على ما تقدّم يمكن القول إنّ لسان الدّين بن الخطيب، وهو يؤرّخ للأدب الأندلسيّ، قد حاول التّرتيب والتّنسيق في عرض مادّته. وما المراحل الّتي تدرّج فيها من مصنّف إلى آخر بحثا عن مقياس التّصنيف "الأنجع " سوى دليل على حيرته من ناحية وعلى وعيه بضرورة المنهج من ناحية ثانية. ولئن بدا هذا المنهج" بسيطا" في مراحله الأولى فإنّه استقرّ منهجا قائم الذّات في "الكتيبة الكامنة". إذ التزم بما سطّر في المقدّمة. فتعدّدت مقاييس التّصنيف. وكان أهمّها مقياس الطّبقة الّذي لخّصته إشارات نقديّة تشرّع لدراسة ابن الخطيب ناقدا. فهو، في نظرنا، لم يكن محايدا في التّرجمة للشّعراء خاصّة إذا ما تعلّق الأمر بشيوخه أو بمن خدم أبواب الأمراء وإن أظهر في الآن نفسه التزاما بالموضوعيّة في تخليص جيّد النّصوص من رديئها. ولعلّ فضل لسان الدّين بن الخطيب في التّأريخ للأدب إنّما يتمثل خاصّة في اعتنائه بكلّ شعراء عصره وبحثه عن المغمور من النّصوص، الأمر الّذي يجعل من مؤلّفاته مصادر لا غنى عنها لكلّ من رام دراسة الأدب الأندلسيّ في عصوره المتأخّرة.

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

مصادر البحث ومراجعه

(مرتّبة ترتيبا ألفبائيّا دون اعتبار ابن وأبو)

المصادر :

- ابن الخطيب، محمد بن عبد الله: الكتيبة **الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثّامنة، تحقيق إحسان عبّاس**، بيروت، دار الثّقافة، ط.١، ١٩٦٣.
- ـــــــــــ: **ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب**، تحقيق محمد عبد الله عنان، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط.١، ١٩٧٠.
- ـــــــــــ: الإحاطة **في أخبار غرناطة**، تحقيق محمد عبد الله عنان، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط.٢، ١٩٧٣

المراجع:

- بالنثيا، أنخل : **تاريخ الفكر الأندلسي**، تاريخ الفكر الأندلسيّ، ترجمة حسين مؤنس، القاهرة، مكتبة النّهضة المصريّة، ط.١. ١٩٥٥.
- ابن بسّام الشّنتريني، أبو الحسن عليّ: الذّخيرة **في محاسن أهل الجزيرة**، تحقيق الدكتور إحسان عبّاس- ليبيا، تونس، الدّار العربيّة للكتاب، ١٩٧٥.
- بويحى، الشّاذلي: **ابن شهيد الأندلسي حياته شعره، ونثره، رسالة التّوابع والزّوابع**، تونس، مؤسّسات عبد الكريم عبد الله للنّشر والتّوزيع، ١٩٩٣.
- ابن الخطيب، محمد بن عبد الله، **جيش التّوشيح**، تحقيق هلال ناجي، تونس، مطبعة المنار، ١٩٦٧.
- ابن سعيد المغربي الأندلسي (أبو الحسن علي بن موسى)، **الغصون اليانعة في محاسن شعراء المائة السابعة**. تحقيق إبراهيم الأبياري، مصر: دار المعارف، د.ت.
- هيكل، أحمد: **الأدب الأندلسيّ من الفتح إلى سقوط الخلافة**، مصر، دار المعارف، ١٩٨٥

الدّوريات :

- بوفلاقة، محمد سيف الإسلام: **مصادر ابن الخطيب في كتاب " الإحاطة في أخبار غرناطة " وأثرها على منهجه**، حوليات جامعة قالمة للعلوم الاجتماعيّة والإنسانيّة. ع .٢٥، ديسمبر، ٢٠١٨، ص. ص. ١٦٩- ١٩٢.

ISSN : 2537-0847 eISSN : 2537-0898

- طويل، يوسف: **لسان الدين بن الخطيب**، مجلّة عصور، ع.٤/ ٥ ديسمبر ٢٠٠٣، جوان، ٢٠٠٤، ص. ص.٤٦- ٥٩.
- عبد السّلام، انتصار: **المشاهدة والمعاصرة في التّدوين التّاريخيّ عند لسان الدين بن الخطيب (٧١٣ هـ / ١٣١٣م - ٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م)**، مجلّة البحث العلمي في الآداب، م.١٦، ع.٥، سبتمبر ٢٠١٥، ص. ص. ٣١٨- ٣٣٣
- عزلاوي، محمد: **ملامح الأصالة والتّميّز في تراجم لسان الدّين بن الخطيب**، مجلّة الحقوق والعلوم الإنسانية، م.٤، ع،٢. ص. ص. ٢٦٦- ٢٨٤.
- عيساوي، محمد: **المؤرّخ لسان الدين بن الخطيب: حياته ونهجه في التّدوين التّاريخيّ كتاب " أعمال الأعلام " أنموذجا**، مجلّة التّراث، م.٦، ع.١، مارس ٢٠١٦، ص. ص. ١٥- ٢٣.

ISSN : *2537-0847* eISSN : *2537-0898*